﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: 3 - 4]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهُما:

الاشتغالُ بما هو غايةُ الدَّلالةِ على السَّفَهِ يقتضي المُبالغة في الزَّجر

بعد أنْ ساقَ البيانُ القرآنيُّ خبرًا مستعمَلًا في التَّوبيخ لمَن اشتغلَ بالتَّكاثر عن الإيمان باللّه وطاعته بقوله: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ وكان الحالُ مقتضيًا لأنْ يَردَعَ غايةَ الرَّدعِ مَن أعرَضَ عمّا يَعنيه وأقبلَ على ما لا يَعنيه؛ أتبَعَهُ بالوَعيدِ والإنذارِ على ذلك بعْدَ الموتِ بأمِّ الرَّوادعِ، وجامعةِ الزَّواجرِ والصَّوادعِ بقولِه: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَعْلَمُونَ﴾: مِن (علم) وهو نقيضُ الجهل، والعِلْمُ: اليقين، يُقال: عَلِمَ يعلمُ إذا تيقَّن، وجاء بمعنى المعرفةِ أيضًا[2]، وعَلِمَه: عَرفَهُ حقَّ المعرفة، والعِلْمُ: الاعتقادُ الجازمُ الثّابتُ المُطابق للواقع[3]، والعِلْمُ: إدراكُ الشَّيء بحقيقتِه، وذلك ضربان: أحدُهُما: إدراكُ ذاتِ الشَّيء، والثاني: الحُكمُ على الشَّيء بوجودِ شيءٍ هو موجودٌ له، أو نفيُ شيءٍ هو منفيٌّ عنه[4]، ومعنى ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في الآية: تُدرِكون إدراكًا حقيقيًّا ويقينيًّا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

زجْرُ اللّاهينَ في نشوةِ الدُّنيا بأبلغِ الأساليب

زجَرَ القرآنُ المشركينَ بقوله: كلّا ما هكذا يَنبغي أنْ تفعَلوا، أنْ يُلْهيَكُم التَّكاثر؛ سوفَ تعلَمونَ إذا زُرتمُ المَقابرَ - يا مَن ألهاهُم التَّكاثر - غِبَّ فِعلِكُم، واشتِغالِكُم بالتَّكاثر في الدُّنيا عن طاعةِ اللّه

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521.
(2) الفيومي، المصباح المنير: (علم).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (علم).
(4) الراغب، المفردات: (علم).

ربِّكُم، ثمّ ما هكذا ينبغي أنْ تفعلوا أنْ يُلهيَكُم التَّكاثر بالأموالِ، وكثرةِ العدد، فسوف تعلمون إذا زُرتُمُ المَقابرَ، ما تلقَون إذا أنتُم زُرتُموها، من مكروهِ اشتِغالِكم عن طاعةِ ربِّكُم بالتَّكاثر[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ حرف الزَّجر ﴿كَلَّا﴾:

مبالغةٌ في الزَّجرِ والإبطال الشَّديد لإلْهاءِ التَّكاثُرِ

أفادَ استعمالُ ﴿كَلَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ الزَّجرَ والإبطالَ الشَّديدَ لإلْهاءِ التَّكاثُرِ[2]، أي: (ليس الأمرُ كما يَتوهَّمُه هؤلاءِ مِن أنَّ السَّعادةَ الحقيقيَّة بكثرة العدد والأموال والأولاد)[3]، بل أفادَ المُبالغةَ في ذلك؛ لأنَّ ﴿كَلَّا﴾ أمُّ الروادع، وجامعةُ الزَّواجر والصَّوادع، والمعنى: (ارتَدِعوا أتمَّ رَدعٍ، وانزَجِروا أعظمَ زجرٍ عن الاشتغال بما لا يُجدي)[4]، وفي استعمالها كذلك تَنبيهٌ على أنَّ العاقلَ يَنْبغي له ألّا يكونَ جَميعُ هَمِّه ومُعظَمُ سَعيِه للدُّنيا؛ فإنَّ عاقبةَ ذلك وخَيمةٌ[5]، وقد جاء الزَّجرُ بالأداة ﴿كَلَّا﴾ في الآياتِ ثلاث مرات، وفقَ وتيرةٍ متسارعةٍ بحيث نلحظُ التَّقلُّصَ التَّدريجيَّ للكلمات الفاصلة بين زَجرٍ وآخر؛ فجاء الزَّجرُ الأوَّلُ بعد خمسِ كلمات، وجاء الثاني بعد ثلاث كلمات، وجاء الثالث بعد كلمتين.

سرُّ التَّوكيد بـ﴿سَوْفَ﴾:

أفادَ التَّوكيدُ بلفظ ﴿سَوْفَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تَحقيقَ حُصولِ العِلمِ بعد مُهلةٍ طويلة يتذكَّرُ فيها مَن تَذكَّرَ، ولا تجرُّ عليهم إلّا الوبالَ والحسرة[6].

(1) ابن جرير، جامع البيان: 24/ 581.
(2) ابن عاشور التحرير والتنوير: 30/ 521.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 32/ 271.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 228.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 195.
(6) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 229، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521.

سرُّ التَّعبير بالفعل ﴿تَعْلَمُونَ﴾ دلالةً وصيغةً:

حتميَّةُ المَصيرِ الذي سيعلمون فيه حقيقةَ ما ألـهـاهُـم عنه التَّكاثر

عبَّر البيانُ الحكيمُ بلفظ (العلم) دون (المعرفة) فقال: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ مبالغةً في التَّهديد والوعيد، بأنَّهم سيُدرِكونَ سوءَ مَغبَّةِ ما هُم عليه - مِن الانشغالِ بالدُّنيا عن طاعة الله - بحقيقته؛ لأنَّ العِلمَ إدراكُ الشَّيء بحقيقته[1]، وأنَّ هذا سيأتيهم مِن غير شَكٍّ وإنْ تأخَّرَ زمنُه يسيرًا بالبعث[2]، ومناسبةً للواقعِ الحاصلِ في يوم لا ريبَ فيه، تنكشفُ فيه الحقائقُ وتظهرُ ظُهورًا لا وهمَ فيه، والعربيَّةُ قد استعمَلتِ المادَّةَ حسّيًّا فيما هو ظاهرٌ واضحٌ لا لبسَ فيه، ويؤكِّدُ ذلك أنَّ قوله ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وردَتْ بهذا المعنى - وهو الإنذارُ بيومٍ يأتي، تنكشفُ لهم حقيقةُ ما خفيَ عنهم وما أنكَروهُ أو ارتابوا فيه - في نظائرَ عديدةٍ لآيةِ التَّكاثر، مثل آيات: [الحجر: 3، 96]، و[الفرقان: 12]، و[العنكبوت: 66]، و[الصافات: 170]، و[الزخرف: 89][3].

وقد جاءَ التَّعبيرُ بصيغةِ المُضارَعةِ للدَّلالةِ على التَّجدُّد الحُدوثيِّ، أي: "يتجدَّدُ لكم العِلمُ بوَعدٍ لا خُلْفَ فيه بما أنتُم عليه مِن الخطأ عند مُعاينةِ ما يَكشفُه الموتُ، ويجرُّ حُزنَهُ الفَوتُ مِن عاقبةِ ذلكَ ووَبالِه"[4].

دلالةُ حذفِ مفعول ﴿تَعْلَمُونَ﴾:

الكلامُ الأخصَرُ المُتسارعُ أبلغُ في زيادةِ التَّرهيب

حَذَفَ البيانُ الحكيمُ مَفعولَ ﴿تَعْلَمُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ لظُهورِ أنَّ المرادَ: (تعلَمون سوءَ مَغبَّةِ ما أنتُم عليه - من لَهْوِكُم بالتَّكاثر عن قبولِ دعوةِ الإسلام - إذا عايَنْتُم عاقِبَتَه)[5]، ولكَونِ الكلامِ الأخصَرِ ذي الوتيرةِ المُتسارعةِ أبلغَ في

(1) الراغب، المفردات: (علم).
(2) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 229.
(3) بنت الشاطئ، التفسير البياني: 1/ 203.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 229.
(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 9/ 195، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521.

زيادةِ الهَول؛ لأنَّ مِن الأمور ما لو شُرِحَ شأنُه على ما هو عليه لطالَ وأدَّى إلى الملال[1].

وجه العطف بـ﴿ثُمَّ﴾:

التَّراخي دالٌّ على علوِّ رُتبةِ الزَّجرِ والوَعيدِ

عُطِفَ قولُه ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عَطْفًا لَفظيًّا بحَرْفِ التَّراخي ﴿ثُمَّ﴾؛ للإشارةِ إلى تَراخي رُتبةِ هذا الزَّجرِ والوَعيدِ عن رُتبةِ الزَّجرِ والوَعيدِ الَّذي قبْلَه، فهذا زَجرٌ ووَعيدٌ مُماثِلٌ للأوَّلِ، لكنَّ عَطْفَه بحَرْفِ ﴿ثُمَّ﴾ اقْتَضى كَونَه أقْوى مِن الأوَّلِ، لأنَّه أفادَ تَحقيقَ الأوَّلِ وتَهويلَه[2]، أي: (ارتدِعوا ارتداعًا أكبرَ مِن ذلك؛ لأنَّه سوفَ يَأتيكُم العِلمُ مِن غيرِ شكٍّ)[3].

بلاغةُ تكرارِ جملة ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾:

التَّوكيدُ تقويةٌ للرَّدعِ وتغليظٌ في التَّخويفِ وبَلاغٌ للوَعيد

جملة ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ توكيدٌ لفظيٌّ لجُملة: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وعن ابن عبّاس: (كلّا سوفَ تعلمون ما ينزلُ بكم من عذابٍ في القبر، ثمَّ كلّا سوفَ تعلمون عند البعثِ أنَّ ما وُعِدتُمْ به صِدقٌ)، أي: تُجعَلُ كلُّ جملةٍ مُرادًا بها تهديدٌ بشيءٍ خاصٍّ، بما يُفيدُ تحقيقَ الأوَّل وتهويله[4]، والعربُ إذا أرادتِ التَّغليظَ في التَّخويف والتَّهديد كرَّروا الكلمة مرَّتين[5].

وقد مرَّ عندَ تعريفِ السّورةِ أنَّ مِن عجائب هذه السّورة مجيءَ التَّوكيدِ فيها بكلِّ أنواعِه المعروفةِ في لُغةِ العرب؛ توكيدًا باللَّفظِ في قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وبالمَعنى بحرفِ النّونِ واللّامِ في قوله: ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ و﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾ وبالاسمِ في قوله ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ﴾ وبأسلوبِ القسَمِ في ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 229.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 22/ 229.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 30/ 521.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 24/ 581.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والستون،
من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 68 ، 828 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-655-42-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 68 : المجلد الثامن والستون، من سورة القَدْرِ إلى سورة النَّاس.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-655-42-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7916426 بتاريخ 2026/01/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"